مجلة دراسات إنسانية واجتماعية / جامعة وهران02/ المجلد 14 ع 02.
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

بول فيرابند والتوجه الجديد في تفسير التقدم العلمي

Paul Feyerabend and the New Trend in Explaining Scientific Progress

د. بوعلام الزهرة Boualem Zohra
جامعة ابن خلدون، تيارت/ الجزائر
zohra.boualem@univ-tiaret.dz

DOI : 10.46315/1714-014-002-010
الإرسال: 2025/01/12 **القبول**: 2025/05/19 **النشر**: 2025/06/16

**

*- **ملخص**: يهدف هذا البحث إلى محاولة تسليط الضوء على الأطروحة الإبستيمولوجيّة التي تبناها "بول فيرابند" والمتمثّلة في "ابستيمولوجيا التعددية المنهجية والمعرفية"، التي تعني عدم التقيّد بمعايير وقواعد ثابتة كلية ولا تاريخية، لذا سيكون مشروعه العلمي ذو سبغة فوضوية ترفض وجود نسق علمي محدد وثابت للعلم، حيث يعتبر أن العلم مشروع قائم يتطوّر على أساس التّعددية المنهجية، من منطلق أنّ النّظرة الواحدية للعلم تؤدي إلى خنق التفكير، بينما التّعددية المعرفية تؤدي إلى التّنوع في أساليب التّفكير وتفتح المجال للإبداع، وهو ما يساهم في تقدّم العلم.

رافضا بذلك الطابع التّميزي للعلم القائم على مسلمة أساسها أن العلم الغربي هو المعيار الوحيد دون سواه الذي يحوز على الأفضلية والإمتياز، وأنه المقيّم للحضارات والمعارف الأخرى غير الغربية، فالعلم مثله مثل باقي الأنشطة المعرفية الأخرى، لأن الإقرار بحق الاختلاف المعرفي، في فضاء يتّسع لكل التّقاليد الإنسانية "فن"، "دين"، "أسطورة"، هو الآخر له دور فعال في تنمية وتطوّر الفكر العلمي.

ومن أجل التوصل إلى نتائج موضوعية اعتمدنا على النصوص الأصلية "لفيرابند", وأمعنا النظر فيها معتمدين على منهج نقدي تحليلي, ومن أبرز ما توصلنا إليه من نتائج هو أنّ القراءة التي اعتمدها "فيرابند" في رفض الميثودولوجيات والتصورات العقلانية الكلاسيكية التي تقوم علي التعددية المنهجية انتهت إلى أنّ العلم ليس كتابا مغلقا لا يمكن فهمه إلا بعد سنوات من التدريب، وإنما هو نظام عقلي يمكن أن ينتقده أي شخص معني بالأمر؛أي أنّه تقليد كغيره من التقاليد الأخرى المتنافسة، من هذه التقاليد الحكمة الشعبية والأساطير القديمة والأديان, وبالتالي فالمجتمع الحرّ لايمكن أن يتأسس وفق مذاهب فردية ولا وفق عقلانية واحدة ، بل يتم تأسيسه على تعددية التقاليد وسيادة روح التعاون على مستوى الأمم.

الكلمات المفتاحية: الإبستيمولوجيا؛ الفوضويّة؛ اللاّمقايسة؛ التّعددية المنهجية.

Abstract:

The epistemological thesis adopted by Paul Feyerabend is the "epistemology of methodological and epistemological pluralism," which means not adhering to fixed, comprehensive, and historical standards and rules. Therefore, his scientific project will have a chaotic nature that does not recognize the existence of a specific and single approach to science. It is considered that science is an existing project that develops on the basis of methodological pluralism, on the basis that a single view of science leads to the stifling of thinking, while cognitive pluralism leads to diversity in thinking methods and opens the way for creativity, which contributes to the progress of science.

Thus rejecting the discriminatory nature of science based on an axiom based on the fact that Western science is the only standard that has priority and distinction, and that it is the assessor of other non-Western civilizations and knowledge, Science is like all other cognitive activities, because acknowledging the right to cognitive difference, in a space that accommodates all human traditions, "art," "religion," and "myth," also has an effective role in the development and evolution of scientific thought.

Keywords : Epistemology, anarchism, incommensurability, methodological pluralism

1-مقدمة:

يمكن اعتبار القرن العشرين نقطة تحوّل فكري وفلسفي لتميّزه بتعدّد التّيارات والدّراسات الإبستمولوجية، الّتي شكّلت محورا رئيسا من محاور التّفكير الفلسفي الّذي عرفته فلسفة العلوم المعاصرة، نتيجة اهتمام هذا القرن بالعلم كموضوع فلسفي بامتياز، تجسّدت فيه كذلك حتمية وجود رابطة وثيقة بين العلم والفلسفة، على غرار ما كان سائدا خلال القرن التاسع عشر من تآكل وتباعد بين العلماء والفلاسفة. فكان القرن التّاسع عشر قرن العقل واليقين، أما القرن العشرون فهو قرن الشّك والاحتمال، التمرد والثورة التعددية، إنّ هذه التحولات الجذرية التي شهدتها فلسفة العلم في النصف الثاني من القرن العشرين، التي مست كل دعائم الثقة، وكل أركان اليقين، شكلت منعطفا حاسما في الفكر العلمي، وأحدثت هزة عميقة في مجمل البنية المعرفية العلمية، نتج عنها تحولات بسبب عجز العلم عن تفسير بعض المسائل، فبدأت اليقينيات العلمية تتصادم بوقائع مستعصية غامضة لم تستطع الإجابة عنها، وبتعبير أكثر دقة أطلّ القرن العشرون ب "الثورات العلمية الكاسحة" المتتالية التي عصفت بمطلقية العلم والتي عرفتها مختلف العلوم، وتمخض عن ذلك ميلاد نظريات علمية جديدة والمتمثلة في نظرية "الكوانتم" بزعامة "ماكس بلانك" (1858-1947)، ونظرية النسبية بنوعيها (الخاصة والعامة) على يد "ألبرت أنشتاين" (1897-1955)، كما شهد هذا القرن أيضا ظهور الهندسات اللاإقليدية مع "ريمان" (1826-1866) و"لوباتشفسكي" (1792-1856)، هذه المستجدات العلمية تراجعت بموجبها الكثير من اليقينيات والمطلقات العامة، التي هزت عقول العلماء والمفكرين، ما جعل وجوه العلماء تكتسيها علامات القلق والريبة، وتسرب اليأس إلى نفوس الباحثين، مما مهد لظهور حركة فكرية نقدية، وتصوّر جديد للعلم، كشفت عنه العديد من الدراسات الإبستيمولوجية, والتي شكّلت منعطفا حاسما في الفكر العلمي، عرفت بتيارات "مابعد الوضعية"، التي تعدّ من الأقطاب الرئيسية التي قامت عليها فلسفة العلم المعاصرة، والتي أخذت على عاتقها إيجاد حل فكريّ وفلسفيّ وعلميّ ملائم لكلّ النّظريات والقضايا العلميّة.

إنّه وفي خضم هذه التحولات تتموقع التّموجات الابستمولوجية الكبرى للتّحولات المعرفية لكلّ من: "كارل بوبر"، "توماس كوهن"، "إمري لاكاتوس" و"بول فيرابند"، هذا الأخير الّذي يعدّ بدون منازع النّاقد الرّسمي للعقلانية الغربية عموما، والمنهج العلمي "كأس العلم المقدسة" حيث أصبح العلم وفق تصوره مشروعا متطوّرا يعتمد على نقد العقل والعقلانية، ويعلي من شأن كل ما هو لاعقلاني كالتّنجيم والسّحر والأسطورة.

إنّ عقلانية "فيرابند" العلمية تقوم عل التبادل المفتوح الذي يسمح لكل الثقافات الغربية وغير الغربية في المشاركة في التقدم العلمي والإنساني, حيث تميّزت حياته بتعدّد وتنوّع مصادره الفكرية الّتي كان لها أثر بالغ في تطوّر مساره الفكري، حيث شغف بالمسرح, فكان عضوا في مسرح "بريخت"

بألمانيا، ثم تحولت اهتماماته في مجال الفيزياء ثم الفلسفة، حيث شارك بحماسة وهو طالب, في برنامج دائرة "كرافت" التي أسسها الفيلسوف الوضعي" فكتور كرافت"، وتأثر بأفكار "لودفيغ فتجنشيتن" (1889-1951) Wittgenstein: L، وبالفيلسوف التجريبي "جون ستيوارت مل" (1806-1902) J-S-Mill، واعتنق الإبستيمولوجيا "التفنيدية" لأستاذه "كارل بوبر" (1902-1994) K-Popper، ثم سرعان ما انتقده بحدّة.

ما نستشفه في الفوضوية الإبستيمولوجية ل: "فيرابند"، أنّ كل نظرية أو فرضية علمية إلا ونجد لها ما يجسدها من الواقع الذي يبيّن ذلك، فهذه التّحولات الّتي طبعت فكر "فيرابند" وميّزت شخصيته العبثية، جعلت استيعاب فلسفة وأفكار هذا الفيلسوف، أو عرضها في إطار نسقي معيّن أمر صعب، وقد يعود ذلك إلى توجّهه الفلسفي "الفوضوي" الّذي يتعارض مع كلّ نمطية أو نسقيّة.

حيث تتمحور إشكالية هذا المقال في التّساؤل التّالي:

هل العلم مشروع يقوم على النظام والإتساق المنطقي ؟ أم أنّه مشروع فوضوي يقوم على اللا إتساق؟

وفي هذا السياق تتفرع الإشكالية المركزية إلى أسئلة فرعية من قبيل:

مامفهوم الفوضوية الإبستيمولوجية عند فيرابند؟كيف وظّف "فيرابند" الفوضويّة والتعدديّة المنهجية في فهم مسألة التّقدم العلمي؟ هل مناهضة فيرابند للمنهج ودعوته إلى اللامنهج تعني أنّه ينفي وجود منهج علمي كلّي؟

سنبيّن في مايلي أهم الانتقادات التي وجهها "فيرابند" للمفاهيم والأسس التي قامت عليها مختلف الأنساق الإبستيمولوجية المتداولة التي انشغلت بالتّأسيس المنهجي، بدءا "بالوضعية المنطقية"، إلى جانب الإشارة للعقلانية النّقدية البوبرية، دون أن ننسى التّصورات التي جاءت ما بعد العقلانية النّقدية، والمتمثلة في العقلانية المؤسساتية "لتوماس كون"، ومحاولة "إمري لاكاتوس"، المتمثّلة في العقلانية الميتودولوجية.

2-موقف فيرابند من المقاربات الإبستيمولوجية المعاصرة:

2-1-نقد فيرابند للنّزعة الإستقرائية:

كانت البدايات الأولى لإبستومولوجيا التجريبية المنطقية متجهة إلى حقل التحليل المنطقي، أولت اهتماما بمنطق تبرير النظرية العلمية، جاءت لرفض الفلسفة القديمة (الميتافيزيقا)، أي "حركة فلسفية تركزت في "فيينا" ادعت لنفسها صفة إصلاحية واتجهت إلى تأسيس نوع من الفلسفة العلمية يخلو من القضايا الزائفة أو الأشباه التي تحتفل بها الميتافيزيقا التقليدية"

(كامل، 1993، صفحة 83)، لأن الفلسفة لم يبقى فيها سوى الميتافيزيقا التي أراد هذا الإتجاه أن يذهب بها إلى الجحيم دون رجعة، كما اعتبرت العلم نظاماً شاملاً مبني على أسس ممنهجة بقواعد ميتودولوجية ثابتة، ويحوز على درجة عالية من الموضوعية، إلاّ أن "فيرابند" قد ثار على هذا التّصوّر السّاقط في تقديس النموذج الإستقرائي, حيث "انتقد هذا التصور واعتبر أن المشروع العلمي هو مناهضة لكل المبادئ العقلية والتجريبية وحتى المنطقية، والعلم في حد ذاته يقوم على اللا إتساق، والتعقيد وتحكمه مؤثرات أخرى غير موضوعية تجعله مليئًا دائما بالتناقضات" (فيرابند، 2005، صفحة 392)، كل هذا جعل "فيرابند" من أشد العنيدين لهذا الطّرح الوضعي، بل إنّ الهدف من فلسفته برمتها هو الرغبة في تخليص العلم من كافة القيود والمعوقات التي كبلته بها الإتجاهات الوضعية والوضعية المنطقية بالخصوص.

وهنا يعيب "فيرابند" على منهج الوضعية المنطقية إهمالها لتاريخ العلم وانشغالها فقط بمنطق تبرير المعرفة العلمية، ومن خلال الاستقصاء التاريخي للعلم استنتج "فييرابند" أنّ العلم غير مقيّد بمنهج علمي محدّد، فاتباع قواعد معينة والالتزام بها في الممارسة العلمية يعيق التّقدم العلمي، لذلك يقول: "لاتمثّل الوضعية الجديدة اصلاحا جزئيا أو تقدّما للفلسفة، إنّما تمثّل تقهقرا نحو بدائية فلسفية جديدة" (feyeraband, 1989, p. 220) ، فحسب "فيرابند" السّير على هذا المنهج يعيق نمو وتطور المعرفة العلمية، "فهذه الممارسة المتحرّرة؛ ليست فقط مجرّد حقيقة في تاريخ العلم، بل هي ضرورة مطلقة للنّمو المعرفي" (فيرابند، 2005، صفحة 33)، فاعتماد الوضعية المنطقية على مبدأ التحقق كمعيار لصدق النّظريات من النّاحية المنهجية والمنطقية يعتريه القصور، ولا يمثل تقدّما في العلم وفلسفته بل يمثل تراجعا، لأنّ "فكرة المنهج التي تحتوي على مبادئ صارمة لإدارة العملية العلمية تلاقي صعوبة كبيرة عندما تواجه نتائج الأبحاث التّاريخية" (فيرابند، 2005، صفحة 33)، أي أنّ المعرفة العلمية شأنها شأن المعرفة الإنسانية، تشكّلت من جراء مسيرة تاريخية حضارية، لذا يقول فيرابند:" إذا استمع العلميون إلى كلامنا المطنب فيصبحون شاغلين بالبحث في التطور التاريخي، والذين يريدون تغيره فسوف يتشجعون على ترك الكلام الصّبياني الّذي تمثّله القواعد المنطقية والايبستيمولوجية ويصبحون على استعداد للتّفكير بطريقة أكثر تعقيدا" (نفادي، 1996، صفحة 114)، ويستشهد "فيرابند" بالعديد من الأمثلة المستمدّة من تاريخ العلم، الّذي يراه تاريخاً لانتهاك كلّ القواعد والمبادئ المنهجية، وهنا ينتقد الوضعية المنطقية في طرحها اللا تاريخي، من منطلق أنها غيّبت الأطر التاريخية المحيطة بالمعرفة العلمية واهتمت فقط بمنطق تبرير النظرية العلمية، فقد انتقد "فيرابند" هذا التصور قائلا: "أن التّمايز بين الكشف والتبرير في الواقع، غير حقيقي على الإطلاق، فلا يمكن أن يكون الكشف مجرد خبط عشواء، أو حلم؛ وإنما يدخل فيه الكثير من عناصر الإستدلال كما أن التبرير لا يكون أبدا إجراءا موضوعيا تاما، فهو يحتوي على العديد من العناصر الذّاتية" (فيرابند،

ثلاث محاورات في المعرفة، صفحة 217)، أي أنّه لا يمكن اختزال العلم في إطار التّبرير، وإذا كانت الوضعية المنطقية تدعو إلى ضرورة الفصل بين تاريخ العلم وفلسفة العلم، وبين ساق الكشف وسياق التّبرير بوصفهما نظامين مختلفين، فحسب "فيرابند" أن الممارسة العلمية التي تقوم على سياق التّبرير لا تخلو من مفاهيم وفروض غامضة، كما أنّها لا يمكن أن تكون موضوعية خالصة، بل تنطوي على العديد من العناصر الذاتية، وهذا يدخل ضمن سياق الكشف، لذا لا يوجد حد فاصل بين سياق الكشف وسياق التّبرير، يقول فيرابند: "إنّ التّمييز بين سياق الكشف وسياق التّبرير غير حقيقي، فالكشف لا يكون أبدا قفزة في الظلام أو حلماً... كما أنّ التّبرير لا يكون أبدا إجراء موضوعياً تاما" (فيرابند، ثلاث محاورات في المعرفة، صفحة 16).

ينتقد "فيرابند" مبدأ "الرّد" الذي اعتمدته الوضعية المنطقية، والذي يقوم على أساس الافتراض وأن معنى الحدود العلمية لا يتغير داخل النظريات المختلفة، فبعدما كانت الحدود أو الألفاظ العلمية ثابتة، مهما تغيرت النظريات العلمية، أصبحت مع "فيرابند" تختلف باختلاف النظريات العلمية، لذا يقول فيرايند:"إن كثير من أزواج النظريات تثبت عند المعاينة الدقيقة لأنها تتألف من عناصر لا قياسية وهي لذلك غير قابلة للرد أو التفسير المتبادل فيم بينها ... " (feyeraband, explanation reduction and empiricis in realism rationalism and scientific method, p. 44) كما تبنت الوضعية المنطقية المنهج الإستقرائي، واعتبرته المنهج الوحيد للعلم لكنّ "فيرابند" رفض القول بالمنهج الواحد في الأبحاث العلمية، واعتبر الإستقراء منهج من بين المناهج المتعددة التي عرفتها الممارسات العلمية، وأن نتائجه غير موضوعية، إذ يقول: "أليس من الواضح أن مناهجنا الجميلة البراقة التي تطالبنا بالتركيز على نظريات ذات محتوى تجريب عال، والتي تجعلنا نأخذ المخاطر والتفنيدات بجدية، والتي تقارن الفروض التي تنتمي إلى طبقات تاريخية مختلفة كما لو كانت كلّها أفكار أفكار أفلاطونية كاملة " (فيرابند، ضد المنهج، 2005، صفحة 236)، فكلّ المبادئ التي قامت عليها العقلانية التجريبية المنطقية يعارضها "فيرابند"، خصوصا تلك التي ترتبط بمبادئ المنطق الصوري والمنهج الإستقرائي والنزعة التبريرية للمعرفة العلمية التي حصرت المعرفة البشرية في حدود التجربة، وصورية الفكر، وقواعد اللغة.

2-2-نقد فير ابند للإبستيمولوجيا التّفنيدية البوبرية:

تعدّ المقاربة البوبرية خاصة في شقها الميتودولوجي (التكذيب والقابلية للتكذيب) من أهمّ المقاربات الابيستمولوجية التي عرفتها فلسفة العلم في القرن العشرين، حيث تقوم وجهة نظر "بوبر" حول المشروع العلمي والمعرفة بصورة عامة على أساس فلسفته النقدية، ويرتبط تقدم العلم ونمو المعرفة العلمية بقابلية التكذيب، لكن منهج التكذيب لم يسلم من النقد من طرف

فلاسفة علم ما بعد الوضعية خاصة من طرف "بول فييرابند"، الذي انتقد فلسفة "بوبر" من منظورين: الأول يتعلق بنقد المعرفة الموضوعية، حيث يرى "بوبر" أن المعرفة العلمية وبالرغم من أنها إنتاج إنساني إلا أنها تضل موضوعية ومستقلة عن الذات العارفة، و"هي معرفة بدون عارف، إنّها معرفة بدون ذات عارفة" (بوبر، 1986، صفحة 36)، بينما يوصي "فيرابند": بالسماح لميول الفرد بأن تكون مخالفة للعقل في أيّة ظروف، حيث قد يستفيد العلم من ذلك" (فيرابند، ضد المنهج، 2005، صفحة 231)، أما المنظور الثاني فهو معيار "القابلية للتكذيب"، حيث يضع "بوبر" التكذيب المحرك الأساسي للبحث العلمي، ففي نظر"فيرابند" هذا المعيار ليس بالاكتشاف الجديد في حقل المعرفة العلمية؛ بل مستورد من الفلسفات السابقة، واعتبره منهج ساذج لأنه يرفض استبعاد النظريات غير القابلة للإختبار بدلا من إبقائها في ميدان العلوم، لأنها تساهم في نمو المعرفة وتقدّم العلم، ومازالت قادرة على منافسة القضايا الأخرى، فيقول: "يتضّح أنّ التّكذيب الصارم، أو التكذيبية الساذجة كما يطلق عليها لاكاتوش، قد تقضي على العلم كما نعرف ولن تسنح له بالبداية" (فيرابند، ثلاث محاورات في المعرفة، صفحة 264)، مبدأ التكذيب يعرقل حركة العلم ولا يسمح له بالتّقدم، بل يجعله حبيس جملة من النّظريات المفنّدة، "إذ لا يمكن للعلماء التّخلي عن مشاريعهم العلمية الضخمة ونظرياتهم بمجرد أنها تتعارض مع بعض الوقائع، فإذا كان بوبر يؤكد على رفض أو استبعاد النظريات فإن فكرة فيرابند الأساسية هي استباق النظريات والإكثار منها" (فيرابند، ثلاث محاورات في المعرفة، صفحة 19)، وبهذا قد يكون "فيرابند" قد هدم المنهج العلمي، ونادى بضرورة تحرير الإنسان من كلّ القيود المنهجية، "... فهو يصرّ على أنّ كلّ القواعد المنهجية الّتي يتشدق بها فلاسفة العلم سواء أكان الإستقرائيون أو التكذيبيون، تتعارض تماما مع مصلحة العلم بمعنى أنّه يجب إسقاطها وتطبيق قواعد عكسية Counterrules محدّدة" (عادل، 2006، صفحة 309)، ويضيف قائلا: "إن "هابرماس وآخرون لم يكونوا مخطئين – حسب ما يظهر – عندما اعتبروا بوبر من الوضعيين" (feyeraband, contre la mèthode, Esquise d'une thèorie anarchiste de la connaissance, 1979, p. 190) لذا اعتبر "بوبر" عقلانيا نقديا مزيفا حسب "فيرابند".

2-3-نقد فير ابند لنماذج توماس كون الإرشادية:

بعدما كانت فلسفة العلم معنية بإيجاد منهج للبحث العلمي عند كلّ من "الوضعية المنطقية" و"كارل بوبر"، اتجهت مع "توماس كون" إلى البحث في أهم الإشكاليات الّتي يطرحها العلم، وتوضيح البعد التاريخي والإجتماعي في المعرفة العلمية، حيث يساير "فيرابند" "توماس كون" ويتفقان في مبدأ "اللامقايسة"، حينما أكد أنها ليست أطروحة فلسفية بل هي أطروحة علمية، ويظهر تطوّر العلم عند "كون" وفق النمط التالي: أنّ "العلم السوي" أو ما يطلق عليه "النموذج" هو أساس التطور العلمي؛ حيث يتم الانتقال من نموذج علمي إلى نموذج آخر من خلال ثورة.

يعارض "فيرابند" تفسير "كون" للأزمة التي تؤدي إلى الثّورة العلمية، وفي هذا الصّدد يقول فيرابند: "إنّني أشعر بعدم الارتياح لمحاولته إعادة استخدام النظريات (دور العلم العادي، والثورة إلخ)، وبمحاولته الأخيرة للعثور على أساس فلسفي لتلك النظريات، فهذه المحاولات تستبدل في رأيّي، الواقع بالخيال" (فيرابند، ثلاث محاورات في المعرفة، الصفحات 231، 232)، فالعلم وفق تصور "فيرابند" ليس له خطة سير محكمة كما رسمه "توماس كون"؛ أي أنّ فكرة "البراديغم" التي جاء بها "كون" لا تخلو من السلطوية، يعني سلطة المجتمع العلمي الذي يفرض نموذجا إرشاديا محددا هيمن على جميع النماذج، وإن كان "توماس كون" يؤكد على أنذ تطور العلم يعود أساسا إلى مبدأ الإنتقال من نموذج إرشادي إلى آخر فإننا نتساءل: هل التّغير في النموذج هو تغير جذري في الشكل والمضمون معا ؟ وهذا ما جعل "فيرابند" يصرّح أنّه كلّما قرأ ل"كون" وقع في مأزق، فيقول:" حينما أقرأ لـ كون أجد نفسي في مأزق عندما أطرح هذه التساؤلات: هل نحن مع عقلانية كون أو أمام قواعد ومعايير ميتودولوجية تحدث كيفية سير التقدم العلمي، أم نحن أمام وصف معطى يتجنب أي عنصر تقييمي لتلك الأنشطة العلمية التي يمارسها العلماء" (feyeraband, contre la mèthode Esquise d'une thèorie anarchiste de la connaissance, 1979, p. 27) .وهنا استبدل "فيرابند" المجتمع العلمي بالمجتمع الحرّ الذي يرفض كل قيد وتسلط مهما كان نوعه أو مصدره، فالعلم "مشروع فوضوي" يرفض بشدّة تنصيب السلطة المعرفية لمنهج محدد، لأنّ التّقدم المعرفي يأتي عن طريق إطلاق طاقات الإبداع والخلق والإبتكار وليس على أساس إتباع منهج معين.

2-4-انتقادات فير ابند لبرامج البحث اللاكاتوسية:

حاول "لاكاتوس" بادئ ببدء أن يحدّد لتاريخ العلم بناءاته العقلانية واستخدم في ذلك قولا مأثورا لكانط إن فلسفة العلم دون تاريخه خواء، وتاريخ العلم دون فلسفته عماء" (هواري، التوجهات النسبية في فلسفة العلوم المعاصرة، 2020، صفحة 9)، بعد أن رفض "لاكاتوس" المنهجيات السابقة، يقترح نموذجا مخالفا يتمثل في "ميثودولوجيا برامج البحث العلمي"، الّتي تعدّ النّمط الناضج للعلم في تفسير النظريات العلمية، ويرتكز هذا البرنامج اللاكاتوسي على: نواه صلبة hard core وهي عبارة عن افتراضات غير قابلة للتّكذيب أو التّفنيد، وقدرة النواة الصلبة على الصمود في وجه التكذيب تأتي في كونها محاطة بحزام واق Protective beet، وهي عبارة عن مجموعة الفروض المساعدة التي تكون عرضة الاختبارات التجريبية، ومن ثم فهي عرضة للتكذيب، التفنيد، التعديل والاستبدال" (Imrè, 1978, p. 49)، كما يتميّز هذا البرنامج بالكشافة السلبية والكشافة الايجابية، توجه عمل العلماء وتعيّن القواعد الواجب اتباعها لتوجيه الباحث

في دراسة العلم، إذ يفنّد فيرابند ما جاء به "لاكاتوس " والمتمثل في الأطر العقلانية التي فرضتها الميثودولوجيات المعاصرة ل"برامج البحث العلمي" قائلا: "حتى المحاولة المبدعة للاكاتوس لإنشاء منهجية تتصف بأنها لا تقدم إرشادات ولكنها تضيق الخناق على النشاطات العلمية الرامية للتوسع لا تفلت من النتيجة السابقة. هذا لأن المعايير التي يستخلصها من العلم الحديث لا يمكن إعتبارها محك محايد في الفصل في الصراع بين العلم وعلم أرسطو، الأسطورة، السحر والدين" (feyeraband, contre la mèthode Esquise d'une thèorie anarchiste de la connaissance, 1979, p. 198)

ومن جهة أخرى بنتقد كذلك الفرق الذي أقامه لاكاتوش بين التاريخ الداخلي والخارجي للعلم، فتناول التاريخ بهذا الشكل حسب "فيرابند" من قبل "لاكاتوس" لا يمكّن من اكتشاف الوقائع الحقيقية، إذ يقول: "إنّ التاريخ عموما وتاريخ الثورات خصوصا هو دوما أكثر ثراء بمحتواه وأكثر تنوعا، وأكثر تعددا في أشكاله، وأكثر براعة مما يعتقده أحسن المؤرخين وأحسن الميتودولوجيين، إنّ التاريخ يعج بحوادث ومصادفات وبتجاوزات لأحداث مثيرة للفضول، إذ يثبت لنا تعقّد التطور الإنساني والطابع غير المتوقع للنتائج النهائية لأيّ فعل كان قرار الرجال" (فيرابند، ثلاث محاورات في المعرفة، الصفحات 15، 16)، ما يعني أنّ "لاكاتوس" كان من بين المدافعين عن العقل والعقلانية، بينما "فيرابند" كانت رغبته في اغتيال العقلانية وإحلال مكانها اللاعقلانية، ويكفي أن نتأمل عنوان كتابه "وداعا للعقل" لنفهم ذلك، لأن العلم يتقدم بخرق قواعد العقلانية التي فرضتها الميتودولوجيات المعاصرة بما فيها "برنامج البحث العلمي".

هكذا جعل "فيرابند" الميتودولوجيا من المواضيع التي خضعت للمساءلة النقدية، فكانت موضوع نقاش حادّ بين التّيارات الإبستيمولوجية التي سبق وأن أشرنا إليها أعلاه، حيث تقاسمت هذه الأخيرة إرثا فلسفيا وعلميا واحدا، لكنها اختلفت في مقارباتها للعلم وللمنهج العلمي ومكانتهما داخل نسيج الحضارة المعاصرة، فقاد بمشروعه الداعي إلى نظرية فوضوية في المعرفة على البقية الباقية من العقلانية بانتمائه للنّسباوية تارة, لكنه سرعان ما يتنصّل من ذلك كلّه منتسبا, بالأحرى إلى الدّادئية في العلم وتدمير الدوغمائية، مركزية الإنسان في العلم، والكاوس الإبستيمي.

3- التعددية المنهجية ومنطق الفوضى الخلاقة عند بول فيرابند:

لقد ثار"فيرابند" على كل التصورات والتنظيرات المعروفة في مجال العلم وفلسفته ومناهضته لكل الأنساق الابستمولوجية والميتودولوجيات المتداولة، لأنّها كانت تسعى إلى بناء نظرية تستهدف عقلنة الممارسة العلمية، إن "إبستمولوجيا التعددية المنهجية" التي ينادي بها "فيرابند" وقفت ضد هذه النزعة الواحدية التي طبعت بطابعها فلسفة العلم الحديثة، من أجل تحرير العلم من أسر كلّ القيود والعوائق النّظرية والمنهجية ودحض التّصور الابستمولوجي

الكلاسيكي، لينتقل الفكر العلمي المعاصر من مسألة المنهج إلى مسألة اللامنهج، وبالتالي يمكن اعتبار المنهج واحدة من أبرز التحديات الفلسفية في القرن العشرين، حيث يتطلب فهما عميقا ونقاشا مستمرا للتصدي للمشكلات المعاصرة، وهو ما دفع "فيرابند" إلى طرح مشروعه الفوضوي، ويعترف بذلك صراحة في بداية كتابه ضد المنهج، "أنه يؤسس لنوع من الفوضوية المعرفية" (جميلة، 2018، صفحة 214)، يقرّ فيرابند في كتابه المعروف "ضد المنهج خطة لنظرية فوضوية في المعرفة"، "باعترافه أنه ينوي الحديث عن نوع من الفوضوية المعرفية theoretical anarchisme، فالعلم ذاته في رأيه عمل فوضوي حيث يقول العلم أساسا عمل فوضوي، والفوضوية النظرية أكثر إنسانية من العلم ومن المرجع أنها تشجيع التقدم أكثر من البدائل المنهجية المتمثلة في القانون والنظام" (فيرابند، ثلاث محاورات في المعرفة، الصفحات 12، 13)، لعل فيرابندّ يعد أول من نقل مصطلح "الفوضوية" من مجاله السياسي إلى مجال فلسفة العلم المعاصرة، ليتوافق مع موقفه المناهض للعقلانية العلمية الكلاسيكية القائمة على القواعد والمعايير، والمنهج الثابت، تميزت "الفوضوية الإبستيمولوجية" المعاصرة عند "فيرابند" بنزعة نقدية للمنهج العلمي، لأن العلم في جوهره "مشروع فوضوي لا يعترف بأية سلطة تحد من نشاطه، ولكن من خلال مناهج متعددة تبعا لشعاره المشهور "أي شيء يفي بالغرض"، إنه المبدأ الوحيد الذي لا يكبح تقدم العلم، وهو الوسيلة الوحيدة لفهم التاريخ ويستند "فيرابند" في إثبات أطروحته حول الفوضوية الابستمولوجية إلى تاريخ العلم، فمجمل النظريات والمناهج والحقائق العلمية التي اشتملت عليها المعرفة العلمية في لحظة تاريخية معينة هي وليدة التطورات التاريخية، لذا فإن الفهم الحقيقي للمعرفة العلمية يقتضي الإعتراف بأنها قد خضعت لمسار تاريخي، إن تاريخ العلم كما يرى فيرابند: "معقد ومشوّش، ومليء بالأخطاء والتّطورات المفاجئة وغير المتوقعة وهذا الطابع المعقد يحتاج إلى إجراءات معقدة، يصعب تحليلها على أساس مجموعة القواعد والمعايير والمناهج التي يتم وضعها مسبقا دون النظر إلى الظروف المتغيرة دائما للتاريخ، كما أنّ العالم الذي نريد اكتشافه كيان مجهول إلى حد كبير، لذا يجب أن تبقى كل اختياراتنا مفتوحة ولا يجب أن نتقيّد بشكل مسبق بقواعد ومعايير ومناهج ثابتة" (feyeraband, contre la mèthode, Esquise d'une thèorie anarchiste de la connaissance, 1979, p. 25). وهذا القول يلخص نظرته الرافضة لتنصيب الطبيعة السلطوية للعلم، ولدعوته اللاحقة لتعددية ابستمولوجية تسمح بالانعتاق من القيود المنهجية للابستمولوجيا الوضعية المهيمنة، وبهذا فإن الفوضوية عند "فيرابند" تساهم

في بناء المعرفة والعلم، وتلغي فكرة التمايز الموجود بين المعرفة العلمية والمعرفة اللا علمية، يقول فيرابند: "إنّ الفوضوية ربما ليست الفلسفة السياسية الأكثر جاذبية، لكنها بالتأكيد هي العلاج الفعال للإبستمولوجيا ولفلسفة العلم" (feyeraband, contre la mèthode, Esquise d'une thèorie anarchiste de la connaissance, 1979, p. 13). ولا يعني مصطلح "الفوضوية" الفوضى أو العشوائية، وإنما يعني عدم الإلتزام بقوانين العقل وعدم الخضوع لها، "فالعلم مليء بمصادفات أحيانا، عشوائي في أحيان أخرى، وغير منطقي في بعض الأحيان أيضا، وهذا لا يعني الفوضى الكاملة بطبيعة الحال، يقول فيرابند إن ما يطرحه من رفض للمنهج لن يؤدي إلى الفوضى الشاملة Chaos التي تختلف عن الفوضى المنظمة Anarchy إلى حد كبير" (عادل، 2006، صفحة 312)، وعليه فالعلم في صميمه ليس معرفة منهجية، بل هو مشروع فوضوي ينطلق من جعل العلم مفتوحا على كلّ المعارف والمناهج، فهو أكثر لا عقلانية وأكثر فوضى، وأكثر تعقّد، مقارنة بصورته العقلانية القائمة على النّظام والقانون، وبهذا فالفوضوية الإبستيمولوجية عند "فيرابند" رؤية فلسفية معاصرة تنطلق من جعل العلم مفتوحا على كلّ المعارف والمناهج، بعد تحطيم المغالطات وترهات المنهج الواحد ، ونسف فكرة العلم كأرقى أشكال المعرفة، لأن فهم حقيقة العلم مشروط بالإيمان بفكرة الفوضوية، إنّها ثورة ضدّ كل ما هو نظام ورتابة.

3-1-الإقرار بالتعددية المنهجية:

كرّس "فيرابند" جهده في كتابه "ضد المنهج" ناقدا بذلك, كل نمذجة وتنميط للعلم, لبيان أن فلسفة العلم بالتحديد في تخصّص ميتودولوجيا العلم قد وقعت في خطأ جسيم في بحثها عن المنهج الصحيح الملائم للبحث العلمي، وذلك بدءا بالنزعة الإستقرائية عند "ف.بيكون" و"ج.س.مل" والوضعيين المناطقة، والنزعة التكذيبية عند "بوبر" وحتى منهجية برامج الأبحاث العلمية عند "لاكاتوس"، التي تؤمن بأن العلم العقلاني هو العلم الذي يسير وفق منهج واحد، وهذا ماثار عليه "فيرابند"، إذ يرى بأن العلم في صميمه لا يقتصر على منهج واحد عام وثابت يحدّد مسار البحث العلمي، "لأنّ فكرة منهج كلي راسخ والتي تعد مقياساً ثابتاً للوفاء بالمراد، بل وحتّ الفكرة التي تقول بعقلانية كلية راسخة إنّما هي فكرة غير واقعيّة مثلها في ذلك مثل الفكرة التي تقول بأداة قياس راسخة يمكنها أن تقيس أيّ كتلة، دون ما اعتبار إلى الظروف المحيطة بها" (فيرابند، العلم في المجتمع الحر، 2000، الصفحات 112، 113)، فمن الخطأ اختزال العلم إلى بعض القواعد الميتودولوجية الثابتة والراسخة، "حيث يقول بأنّ العلم لم يكن أبدا أسير منهج واحد محدّد، بل هو مشروع فوضوي، لا يعترف بأيّ سلطة، وكلّ المناهج يمكن أن تجدي فيه نفعا تبعا لشعار فيرابند" (الخولي، 2000، صفحة 422)، فالتّعددية سمة من سمات العلم تؤدي إلى

التّنوع في أساليب التّفكير، كما تفتح مجالات خصبة للبحث العلم، "معنى هذا أنّ التّقدم عند فيرابند مرهون بالفوضى والتّعددية المنهجية" (عادل، 2006، صفحة 313)، أي أنّ الصرامة المنهجية تحافظ على الوضعية الراهنة وتكبح التّقدم، بينما الفوضى والتعددية أي تعدّد المناهج العلمية، والفوضوية تعبّر عن التّقدم العلمي، ما يعني أنّ "فيرابند" يروج لوجود مجموعة واسعة ومتنوعة من أساليب التفكير، إنّها ميتودلوجيا لا مركزية ولا تمارس الإقصاء، كما تهدف هذه التعددية إلى "زيادة محيط البدائل واستخدام كل النظريات حتّ تلك الّتي تراجعت منذ زمن بعيد، وأصبحت في طيّ النسيان، لأنّها ربّما يكون بها عنصر يوتوبي يفيد معارفنا" (قطب، 2018، صفحة 184)، كما أنّ هذه التّعددية ميزة من ميزات العلم، وإلغاؤها هو إلغاء للعلم في حدّ ذاته، "فالعلم ما هو سوى محصلة البحث، وليس لإتباع قواعد معينة، ومن هنا لا يمكن الحكم على العلم باستخدام قواعد ابستيمولوجية مجرّدة، إلاّ اذا كانت القواعد نتاجا لممارسات ابستيمولوجية دائمة التغيير" (فيرابند، ثلاث محاورات في المعرفة، صفحة 88).

يتضح مما سبق، أنّ التعدّد هو سمة العلم، وحجته في ذلك أن تاريخ العلم يبين أن أكثر فترات العلم ازدهارا هي تلك التي عرفت تعددا وتباينا في الرؤى والمناهج، وبالتالي فتعدّد الطرق والمناهج يجعل البحث العلمي موضوعيا، على عكس وحدة المنهج، "... لكنّ تنوع الآراء ضروري للمعرفة الموضوعية، والمنهج الذي يشجّع التّنوع هو المنهج الوحيد الّذي يتناسب مع النظرة الإنسانية" (feyeraband, contre la mèthode Esquise d'une thèorie anarchiste de la connaissance, 1979, p. 46) ,إذن التّعددية صفة جوهرية في العلم، لأنها تجعل دائرة المعارف تتوسع، فلا وجود لأفضلية منهجية أو معرفية، والمبدأ الأساسي الذي يجب أن يعترف به العلم هو التّعددية المنهجية في مقابل الواحدية السكونية، وهكذا فلو تابعنا "فيرابند"، فإنه عدو الصرامة والثبات والإنتظام والأحادية، صديق الوفرة والتعددية على الدوام، وهنا لابد من القول: لا يجب أن يفهم رفض "فيرابند" للمنهج بكونه اعتقادا بعدم وجود منهج في العلم, بل هو يرى أن في العلم مناهج متعددة, وهناك من يريد التّغطية على ذلك, واختزال العلم في قواعد محددة استقرائية أو استنباطية.

إنّ دعوة "فيرابند" للتّعددية المنهجية جعلته يتبنى فكرة اللامقايسة، هذه الرؤية الجديدة التي أضافها إلى مخزون الدراسات الإبستيمولوجية المعاصرة.

3-2-اللا مقايسة العلمية:

يعد هذا المفهوم من الأسس الفكرية الّتي بنى من خلالها "فيرابند" تصوّره الإبستيمولوجي، الّذي يعني: "ذلك التّحول الشامل الناتج عن الإنتقال من أنموذج لآخر، والجماعة التي تعمل في الأنموذج الجديد لا تشترك في أي شيء مع الجماعة التي كانت تعمل في إطار الأنموذج القديم، ومن ثم فإنه

لا مجال لمقارنة النظريات ببعضها البعض، بل حتّى مفهوم العلم يتغيّر في خضم هذا التّحول " (البعزاتي، 1999، صفحة 317)، فاللا مقايسة تكاد توازي مفهوم القطيعة عند "باشلار"، إلا أنّ هذه الأخيرة تعبر في نظر "باشلار" عن فترات الانتقال الكيفي في تطور العلوم, وتعكس بمعنى"باشلار" انتقالا نوعيا وطفرة فكرية سيكولوجية تعبر عن قطيعة فاصلة بين نمطين من التفكير (فكر قديم وفكر علمي جديد) بينما اللا مقايسة تعني الإنفصال والقطعية الإبستيمولوجية بين النّظريات العلمية على مدار التّقدم العلمي، يشترك "توماس كون" مع "فيرابند" في الإشارة إلى هذا المفهوم، وفي هذا الصّدد يقول فيرابند: "اعتبرها كوهن- اللا مقايسة- خاصيّة هامة من خصائص التّغير العلمي، واعتبرها نفحة من هواء ساخن أطفئ بعض الشموع الوضعية المشتعلة" (فيرابند، ثلاث محاورات في المعرفة، صفحة 232)، وإن كان فيرابند" قد أعجب بالطرح الذي قدمه "توماس كون" حول مفهوم "اللا مقايسة" في قراءته لتاريخ تطور العلم، فإنّ "فيرابند" اعتمدها لنقد نظرية التفسير والردّ التي تبنتها الوضعية المنطقية، حيث نجده قد استعمل هذا المصطلح في مقال له نشره سنة 1962 تحت عنوان: " التفسير والإختزال" أو "التفسير، الرّد والإمبريقية"، Explanation/ Reductionnisme et Empiricism ، حيث بين فيه تصوره للا مقايسة التي ترتبط بعلاقة الملاحظة بالنظرية وتوقفها عليها. إذ يقول فيرابند: "أردت من هذا التصور – اللا مقايسة- نقد وجهة نظر شائعة ومضللة في التفسير والرد، ولكي أنقد تلك الفكرة كان علي أن أشير إلى خاصية تميز التّغير العلمي لا تشبهها عملية التفسير والرد، وأطلقت على هذه الخاصية اسم: اللا مقايسة، واللا قياسية في اعتقادي لا تشكل صعوبة للعلوم ومن ثم لأي أحد، ولكنها تشكل صعوبة لبعض النظريات الفلسفية المفرطة في السذاجة" (فيرابند، ثلاث محاورات في المعرفة، صفحة 229) .

من التحليل السابق نصل إلى أن "فيرابند" أراد بهذا الطرح إعادة الإعتبار لكلّ المعارف الإنسانية ونقد أسطورة تفوق العلم وامتيازه عن باقي النشاطات المعرفية، وهنا تتجلى الأبعاد الإنسانية والثقافية لفكرة اللا مقايسة، بقوله: "إن طبيعة العلم مازالت مغلّفة بحجب من الظلام، ولا يزال الموضوع قيد المناقشة، وثمة فرصة سانحة لمعرفة ما متواضعة عن العلم سوف تنشأ ذات يوم" (فيرابند، العلم في المجتمع الحر، 2000، صفحة 92)، وبهذا تكون اللا مقايسة وجها من أوجه الفوضوية، ومنطلقا لفكرة التعددية ورفض كل ما هو مطلق في المعرفة لتنزع بذلك فكرة السلطوية، بخرق قواعد العقلانية السائدة والإفلات من سلطتها وهيمنتها، وبالتالي قد حطمت فكرة أفضلية العلم عن باقي النشاطات الإنسانية الأخرى، لقد كان هدف "فيرابند" من أطروحة "اللا مقايسة" هو مناهضة التصورات العقلانية والإبتعاد عنها.

3-3- التعدد المعرفي ودوره في بناء العلم:

إنّ العلم ليس معرفة مقدسة وجب الخضوع لها، وإنما العلم مثله مثل المعارف الإنسانية الأخرى، هذه المعارف غير العلمية كان لها الفضل في ظهور وتبلور النظريات العلمية، وليس للعلم أي ميزة تجعله أفضل عن باقي المجالات المعرفية الأخرى، فهي تساهم في إثراء المعرفة العلمية وتحررها من هيمنة سلطة العقل التي حصرت الخطاب المعرفي وجعلته أسير ما ندعوه علما، لهذا يرى "فيرابند" أنّه: "لا يمكن الحكم على بدائل العلم بمعايير علمية، فعندما نفاضل بين العلم والمعارف الأخرى، فإنّنا نفحص ونمتحن مثل هذه المعايير، لذلك لا يمكننا أن نجعلها أساسا لأحكامنا" (فيرابند، العلم في المجتمع الحر، 2000، صفحة 87)، وإذا كان العلم قد حقق نتائج مبهرة في جميع مجالاته، لكن ذلك لا يعطيه الأفضلية والامتياز، بل حقّق ذلك عندما قام بانتهاك كل القيود المنهجية، وبالتالي فالعلم "ما هو إلاّ محصّلة لعمليّة البحث وليس لإتباع قواعد معينة، ومن هنا لا نستطيع الحكم على العلم باستخدام قواعد إبستمولوجية مجرّدة اللّهم إلاّ إذا كانت هذه القواعد نتاجاً لممارسات إبستمولوجية دائمة التغيّر" (فيرابند، ثلاث محاورات في المعرفة، صفحة 88).

إنّ هذا الإنجاز الذي حققه العلم يدين بشكل كبير إلى معارف غير علمية هي من نتاج معارف إنسانية قديمة لا تنتمي إلى مضمار العلم، ومن ثم يتّضح أنّ العلم ليس الدرب الوحيد لتحصيل المعرفة، بل مجرّد تقليد إنساني يصنّف مع باقي التقاليد، كالأسطورة والسحر والشعوذة، يقول فيرابند: "نحن ـ المجتمعات الغربية ـ الآن نستطيع أن ننتقد ما نشاء وكيفما نشاء، باستثناء العلم، فقد ذهب كروبوتكين Kropotkin على سبيل المثال إلى ضرورة هدم جميع مؤسّسات وصور الاعتقاد التقليدية، إلاّ أنّه يستثني العلم، كما ينتقد الكاتب المسرحي هنري ابسن I bsen أهمّ إيديولوجيات القرن التاسع عشر، ما عدا العلم، وقد جعلنا ليفي ستروس Levi Strauss ندرك أنّ الفكر الغربي لا يعد قمّة الانجاز البشري الوحيد، كما كان معتقدا من قبل إلا أنّه يستثني العلم من انتسابه للإيديولوجيات" (feyeraband, contre la mèthode, Esquise d'une thèorie anarchiste de la connaissance, 1979, p. 340).

لقد حاول "فيرابند" من خلال هذا الطرح إظهار الوجه الآخر للحضارة الغربية ألا وهو "العلم والعولمة للجميع"، شعار ظاهره إعلاء مقولة الحرية والمبادئ الإنسانية، وباطنه ترسيخ دعائم الوجود الغربي وهيمنته على كل الجوانب الفكرية والثقافية للمجتمعات الإنسانية، لذلك نجد "فيرابند" ينتقد الحضارة الغربية إذ يقول: " فلقد بشرت المسيحية بحب الجنس البشري

وأحرقت وقتلت، وشوهت مئات الآلاف من أفراد الجنس البشري، كما بشرت الثورة الفرنسية بالعقل والفضيلة وانتهت بمحيط من الدماء، أما الولايات المتحدة الأمريكية فقد تأسست على مبادئ الحرية، والسعي إلى إسعاد الجميع، ومع ذلك فقد مارست العبودية والقمع والإكراه" (فيرابند، العلم في المجتمع الحر، 2000، صفحة 97)، وبهذا أضحى العلم أداة للقمع، ولعلّ ما شهده العالم في القرن العشرين أبلغ دليل على التوظيف الإيديولوجي للعلم وسوء استغلاله، لأن العلم والعلماء أصبحوا تحت سيطرة رجال الدولة، فالعلم في نظر فيرابند "بضائع والعلماء هم منتجوا هذه البضائع والسلع وليس لديهم الحق للحكم على ما أنتجوه من بضائع" (feyeraband, la science en tant qu'art, 2003, p. 109)، وبالتالي يدعو "فيرابند" إلى تحرير المجتمع من سلطة العلم ويندرج هذا ضمن مشروعه الفكري المبني على موقفه الإنسيّ، ليجعل من الإنسان كيانا حرا يسير وفق ما تمليه عليه ميوله الشخصية.

4-خاتمة:

بناء على ماتقدم، من تحليل لمضمون المقاربة الإبستيمولوجية "لفيرابند" حول إشكالية المنهج العلمي, يمكن حوصلة النتائج المتوصل إليها في النقاط الأساسية التالية:

-إنّ رؤية "فيرابند" للتقدم العلمي تميزت على أنها ظاهرة فريدة في فلسفة العلم والفلسفة بأسرها والحضارة الغربية ذاتها، فكانت الجرأة ل"فيرابند" على نزع طابع القداسة وكشف الحجاب المقدس، لشوفونية الروح العلمية وطغيانها، أي نقد التمركز الغربي للعلم، حيث أراد أن يحميّ العلم من النظرة الضيقة التي ازدادت جمودا وتحجرا على يد الميتودولوجيات الكلاسيكية، ويمنحها الهوية التعددية المستقلة، حيث جعل أساس هذه النظرة إلى العلم التسلح بالوعي التاريخي مدافعا عما يسمى بتعددية الحقيقية وهو بذلك ينفي عن العقل قدسيته ومركزيته التي رسخها التراث التنويري للحداثة، مما يعني أن هذا الطرح الذي قدمه يستحق الدراسة نظرا لأهميته في إغناء التصورات حول قضايا مركزية الفكر الغربي.

-أراد "فيرابند" أن يؤسس لنظرية جديدة في المعرفة وهي "التعددية المنهجية"، على اعتبار أنها الحل لجميع المشاكل المنهجية والابستمولوجية، أو على الأقل تعد مصلا مفيدا ضد الصرامة المنهجية، فسميت فلسفته للعلم "بالفوضوية المناهضة "، التي شكلت معول هدم لكلّ مقاربة تسعى إلى رسم صورة عقلانية للعلم, حتى وصل الأمر بالبعض, إلى نعته ب"طفل فلسفة العلوم المشاغب", نظرا لفرادة تصوّره وجرأته, ولشدّة ثورته وشمولها الجميع.

-اعتبر "فيرابند" بحق ظاهرة مستفزة داخل مجال فلسفة العلم, كونه المفكر الوحيد الذي أمسك بفأس قوي وحطم به كل ما يمكن الإشارة له على أنّه مقدس في المشروع العلمي, وشكّك في أفضلية العلم على حساب الأسطورة والسحر والتنجيم, وهي أمور تؤدي إلى البلبلة وسوء

الفهم, خاصة في ظل المناخ الفكري السائد في واقعنا, فقد يتسرع القارئ ويضع "فيرابند" والمدافعين عنه, في خندق واحد مع المشعوذين والرجعيين واللاّ عقليين, لذلك أدعو القارئ العربي إلى قراءة متن "فيرابند" لاستكشافه, وعدم الحكم عليه إلاّ من خلال استيعاب سياق اشتغاله.

-قامت أطروحة "فيرابند" العلمية على الفوضوية الإبستمولوجية التي تنكر أن يكون ثمة حقائق مطلقة أو تصورات شاملة تكون قادرة على تفسير كل شئ.

-إنّ تبني "فيرابند" للنسباوية في فلسفته وممارسة الحرية الإنسانية, تعني خلق مجتمع حرّ يتم تأسيسه على تعددية التقاليد وعدم فرض أنموذج واحد وتقليد علمي واحد على المجتمع.

**

5-قائمة المصادروالمراجع:

- Feyerabend Paul.(1989). Adieu la raison. traduit de l'Anglais par Boudouin Jurdant. Paris: èdition du seuil.

- Feyerabend Paul.(1979), contre la mèthode. esquisse d'une thèorie anarchiste de la connaissance. traduit: Boudouin jurdant et Agrès Schlumberger. Paris: Seuil.

- Feyerabend Paul. Explanation reduction and empiricism. in realism rationalism and scientific method. philosophical pepers. vol1.

- Feyerabend Paul. (2003). .la science entant qu'art. tra: Francoise perigant . s.a paris: èdition albin Micha.

-Lakatos Imrè. (1978) the methodology of scientific research programmer. edited by john Worrll and Gregory currie philosophical popper vall. London: New York cambridge university press.

-بناصر البعزاتي، (1999). الإستدلال والبناء (بحث في خصائص العقلية العلمية). ط1. الرباط: دار الأمان. المركز الثقافي العربي.

-خالد قطب، (2018). أنسنة العلم (مقال جديد في العقلانية العلمية). ط1، القاهرة، مصر: نيو بوك.

-السيد نفادي, (1996). اتجاهات جديدة في فلسفة العلم. الكويت، سلسلة عالم الفكر. المجلس الوطني للثقافة. المجلد الخامس والعشرون. العدد2.

- شادلي هواري، (2020). التوجهات النسبية في فلسفة العلوم المعاصرة. مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، المجلد 8، العدد 1.

-عوض عادل، (2006)، منطق النظرية العلمية المعاصرة وعلاقتها بالواقع التجريبي. ط1. الإسكندرية: دار الواقع لدنيا الطباعة والنشر.

- فيرابند بول، (2005)، ضد المنهج، ترجمة: ماهر عبد القادر محمد علي. الإسكندرية: طبعة للطالب.

- فيرابند بول, (بدون تاريخ). ثلاث محاورات في المعرفة. ترجمة: محمد أحمد السيد. الإسكندرية: مصر. منشأة المعارف.

- فيرابند بول، (2000)، العلم في المجتمع الحرّ. ترجمة: السيد نفادي وسمير حنا صادق. مصر: المجلس الأعلى للثقافة.
-فؤاد كامل وآخرون، (1993)، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر. بيروت: دار جيل.
-كارل بوبر، (1986)، منطق الكشف العلمي. ترجمة: ماهر عبد القادر محمّد علي. بيروت. لبنان: دار النّهضة.
-يمنى طريف الخولي، (2000)، فلسفة العلم في القرن العشرين. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
-اليزيد جميلة، (2018)، إشكالية الحقيقة العلمية في الإبستيمولوجيا المعاصرة، جامعة وهران2، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في الفلسفة.